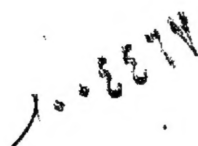
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية

التاريخ الإقتصادي والإجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا

١٢٢١ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦ - ١٩٤٧م

رسالة مقدمة

لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث



إعداد / ناجيه محمد الصالح الخريجي

إشراف أ . د / يوسف بن علي رابح الثقفي



١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد :

هذه الرسالة بعنوان : « التاريخ الإقتصادي والإجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا ١٢٢١ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦ - ١٩٤٧م » . المقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث ، تهدف إلى إبراز الدور الحضاري للتراث العربي الإسلامي ومدى تأثيره العميق في شتى مجالات الحياة في مجتمع شرق أفريقيا بطريقة علمية موضوعية معتمدة على المصادر الأصلية .

والرسالة تتكون من أربعة أبواب ، صدرتها بعد المقدمة التي تتضمن أهمية الموضوع وأهداف الدراسة ، بتمهيد تحدثت فيه بإيجـاز عن العمانيين وقيـام سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقية ، وكيف تمكن البوسعيديون من إخضاع ذلك الجزء في المشرق الإفريقي لحكمهم .

أما الباب الأول فيتناول دراسة النواحي الإقتصادية وعوامل ازدهارها في زنجبار ، والنشاط التجاري نتيجة إنتقال السيد سعيد إلى زنجبار . ويتناول الباب الثاني النواحي الإجتماعية ومظاهرها وعناصر المجتمع السكاني في زنجبار وعاداتهم وتقاليدهم ، ويعالج الباب الثالث النواحي الثقافية والفكرية ، من حيث المذاهب والطوائف والمذاهب المختلفة في البلاد وغلبة أهل السنة والجماعة ، ثم التعليم الإسلامي ودور العلماء في تركيز دعائم الإسلام في شرق أفريقيا ، وكذلك الثقافة السواحلية وأثر الإسلام واللغة العربية في إنماءها وتطويرها . ويتضمن الباب الرابع قيام مملكة أوغندا وقيام الإمارات العربية الإسلامية في أعالي الكونغو كدراسة نموذجية للأثر الإقتصادي والإجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار ، مع بيان دور التجار العرب في النمو الإقتصادي والتعليم وأثره في العادات والتقاليد وإنتشار الإسلام واللغة العربية بين الأهالي . أما خاتمة الرسالة فتتضمن النتائج ، التي من أهمها : (١) أن العرب كانوا من أوائل الشعوب التي سكنت ساحل شرق أفريقيا ، ومنها إلى قلب القارة . (٢) ازدهار النشاط التجاري نتيجة انتقال السيد سعيد إلى زنجبار ، وتحويلها من قرية صغيرة للصيد إلى أعظم ميناء في الأطراف الغربية من المحيط الهندي ، كما أصبحت المركز الرئيسي للتجارة الأفريقية الآسيوية بصفة عامة . (٣) إحداث السيد سعيد زراعة القرنفل حتى أصبحت كل من جزيرتي زنجبار وبمبا تصدران ٩٠٪ من الإنتاج العالمي . (٤) أثر الدين الإسلامي في تغيير الكثير من معتقدات الأفارقة وأفكارهم ونظم حياتهم . . والله ولي التوفيـــق .

الطالبـــة	المشـــرف	عميـد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
ناجيه محمد صالح الخريجي	أ . د . يوسف بن علي رابع الثقفي	د . عابد محمد السفياني

المقدمة :

الحمد لله . . . حمداً يليق بجلال ذاته . . . والصلاة والسلام على حبيبه الذي اصطفىٰ محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدىٰ بهديه إلى يوم الدّين . . . وبعد .

فإننا نعيش في عصر يتعرّض فيه الإسلام لهجمة شرسة ، قوامها الكلمة والسّلاح ، ظلماً وعدواناً وبُهتاناً . هجمة يحاول فيها أعداء الإسلام تزييف التاريخ ، والنيل من قيم العقيدة الإسلامية ، ولايدّخرون وسعاً في تشويه صورتها ، فيدسّون سُمومهم في معسول القول ، ويزيّنونه بزينة الإفك ، حتّىٰ ينالوا من عقيدة المسلم ، فيتحقق لهم مايرمون إليه .

هُنا يأتي دور الباحث في التاريخ الإسلامي ، قديمه وحديثه ، في الكشف عن زيف مايقولون ، وإفك مايفترون ، ليطمئن قلب المسلم المعاصر على عقيدته ، وعلى دينه الذي أظهره الله على الأديان كلّها ذلك الدّين الذي انطلق من مهده في الجزيرة العربية ، لينشر هدى الله ونوره فيضيء جنبات الأرض الواسعة من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها وليتغلغل الإسلام ويستقرّ في نفوس المسلمين الذين اطمأنّت قلوبهم لدين الله الحنيف منذ نيف وأربعة عشر قرناً من الزّمان .

لم يكن ذلك سهلاً يسيراً ، بل كان صعباً عسيراً ، فقوىٰ الشّيطان منذ بدء الخليقة لاتكلّ ولاتلين ولاتهدأ ولاتستكين ، بل إنّها لاتدّخر وسعاً في محاربة هذا الدّين . فمنذ بزوغ فجر الإسلام بظهور سيّدنا محمد صلّىٰ الله عليه وسلّم ، وأعوان الشّيطان وأتباعه من كل جنس وملّة يُحاربون هذا النّور . فهاهم المجوس عباد النّار ، والرّوم وأحفادهم من حملة الصّليب واليهود ، جميعهم تحالفوا ضدّ هذا الدّين الحنيف ولازالوا في كل آنٍ ومكان يريدون إطفاء هذا النّور بالكلمة

والسّلاح ، ناهيك عمّا نعيشه اليوم من ثورة في تكنولوجيا الإتّصال المعاصر ، الذي ينساب داخل كل بيت بلا رقيب ولاحسيب . أسلحة رهيبة فتّاكة ، تفتك بالعقل ، وتمزّق الرّوح ، قبل أن تزهق النّفس وتقبر الجسد : ﴿ يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم ويأبىٰ الله إلا أن يُتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ . (التوبة ٣٢)

إذن فهي الحرب الضّروس ، الحرب التي لابد لكل مسلم أن يتهيّأ لمواجهتها ، سواء كان من أهل البحث والتّقصّي ، أو من أهل السلاح والقتال ، أو من عامة النّاس ، لابد له أن يعد لها مايستطيع من قوّة وأن يتكاتف المسلمون جميعاً في مواجهة هذه الهجمة الشّرسة الظّالمة .

ويقع عبء البحث العلمي والتقصّي عن الحقائق التّاريخية وغيرها على كاهل الجامعات والمؤسّسات الأكاديمية ، وهذه في المملكة تنحو نحواً إسلاميّاً ، وتقف بالمرصاد لكل زيفٍ ، لكل إفك ، بل لكل ظلمٍ وبهتانٍ ، وأخذت على عاتقها في دراساتها العليا العلمية والبحثية أن تردّ كيد الحاقدين على دينِ الله الحقّ ، وتدحض افتراءاتهم بالبحث العلمي الجاد ، والبيّنة والبرهان .

وما الدراسة التي بين أيدينا إلاّ واحدة من هذه الدّراسات التي قُصِد بها وجه الله ، وإحقاق الحقّ ، وكشف الزّيف الذي وقع على الإسلام في منطقة كان للإسلام أكبر الفضل في تنميتها وتطويرها ، ألا إنّها سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقية .

وينحصر هذا العمل - كما اقتضت خطة هذا البحث العلمي في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقية ، وذلك في الفترة مابين ١٢٢١هـ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦م - ١٩٤٧م . بغرض تحقيق الأهداف التّالية :

الغرض من الدراسة :

أولاً :

إبراز أهمية التراث العربي الإسلامي والدّور الرّائد ، الذي قام به العرب المسلمون عامة وعرب عمان خاصة في تاريخ زنجبار وشرق أفريقية بطريقة علمية ، مع الالتزام بالحقيقة التاريخية الموضوعية البعيدة عن كل ميل وتعاطف ، والتي ترتكز على المصادر الأصلية .

ثانياً :

شح وندرة المصادر التاريخية عن شرق أفريقيا ، والتي لايوجد منها إلاّ القليل ، والمتناثر بين الكُتب اليونانية والرّومانية القديمة . أما في العصور الحديثة فقد كثرت الدّراسات الأوروبّية عن هذه المنطقة ، ولكنها كانت عبارة عن تقارير وبحوث لشركات أو مصالح أوروبّية . ورغم أنها تُشكّل مصدراً لاغنىٰ عنه ، إلاّ أنها مشوبة بالدّس ، فهي تُعطي القارىء إنطباعاً سيّئاً . إذ رأوا بأن العربي المسلم وتاجر الرّقيق هما وجهان لعُملةٍ واحدة .

ثالثاً :

الحاجة الماسّة للتعرّف على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثّقافيّة لسلطنة زنجبار ، إذ إن معظم الدّراسات التاريخية التي تحدّثت عنها ، لم يكن التركيز فيها إلاّ على الجوانب السياسيّة فقط .

رابعاً :

إبراز الدّور الحضاري المُميّز للعناصر العربية الإسلامية ، وتأثيرها العميق في شتّىٰ مجالات الحياة في مجتمع شرق أفريقية ، مما أسهم في قيام مايُعرف بالحضارة السواحلية ، والتي تعتبر من أهم الظّواهر الجديرة بالبحث والتّقصّي إضافةً إلى دورها

في حياة النّاس في شرق أفريقية بصفةٍ عامة . فالإسلام ليس عقيدة فقط ، إنما هو نظام اجتماعي وثقافي أيضاً ، قام جنباً إلى جنب مع المعتقدات الأفريقية الأُخرىٰ ، ثم بدّل وغيّر فيها ، لتتمشّىٰ مع مبادئه القويمة .

خامساً :

تمحيص دراسات المستشرقين والمنصرين بالنّقد والتحليل ، هذه الدّراسات التي نشأت مواكبة للمدّ الاستعماري الثّقافي والحضاري ، وكشف مخطّطاتهم ، التي استهدفت المسلمين وتشويه تاريخهم وثقافتهم ، وبثّ روح الفرقة والانقسام بين العرب والأفارقة لخدمة حضارتهم الغربيّة إداريّاً وتجاريّاً وثقافيّاً .

سادساً :

هناك صفحات كثيرة من تُراثنا العربي الإسلامي ، لاتزال تحتاج من الباحثين والمؤرّخين إلى إلقاء المزيد من الضّوء عليها والكشف عنها ، خاصةً تلك الصّفحات المجيدة في تاريخنا العربي الحديث ، والتي ساهم العرب المسلمون فيها بدورٍ كبير ، وذلك في أواسط القارة الأفريقية ومنطقة البُحيرات الإستوائية والكونغو .

سابعاً :

إبراز طبيعة العلاقات العربية الإسلامية والأفريقية ، والتي لاتزال تكتنفها صعوبات عديدة منها فقدان الكثير من السّجلاّت والمدوّنات العربية الإسلامية ، كما أنه لايزال جُزء كبير من المخطوطات مجهولاً ، أو لم تسلّط عليه الأضواء بعد من قِبل الدّارسين ، بالإضافة إلى المصادر الأجنبيّة التي دأبت على تشويه التاريخ العربي الإسلامي في شرق أفريقيا .

لذلك فقد كانت هذه الأسباب دافعاً قويّاً للقيام بهذه الدّراسة لإبراز الدّور العظيم الذي قام به العرب المسلمون في تاريخ زنجبار وشرق أفريقيا .

والمنهج المتّبع في هذه الدراسة هو منهج البحث التاريخي العلمي ، القائم على تجميع المادة العلمية من المصادر المختلفة العربية منها والأجنبية ، وبخاصّة المصادر الأصلية ، كالوثائق المنشورة وغير المنشورة ودراستها وتمحيصها .

مصادر البحث الأساسية :

أولاً : الوثائـق :

١ - دار المحفوظات البريطانية :

- India Office Records (I . O . R .)
- Bombay Archives Political Department (B . A . P . D .)
- Bombay Government Selections Records (B . G . R .)
- Foreign Office (F . O .)
- Colonial Office (C . O .)

٢ - محفوظات الأرشيف الأمريكي :

- The National Archives and Records of The United States . (N . A . R . A .) No. 100 .

وهذه الوثائق على درجة كبيرة من الأهميّة لما تحتويه مادّتها من معلومات هامة في النّواحي الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية . فهي توثيق للتجارة في شرق أفريقيا وزنجبار وتمدّنا بقوائم إحصائية توضح سير الحركة التجارية ، وتسيير السّفن والبضائع المتنوّعة التي تصدرها وتستوردها هذه المنطقة .

كما توضّح الوثائق والمعاهدات التجارية ، التي أُبرمت بين حُكّام زنجبار والولايات المتّحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدّول الأجنبيّة ، وتوضّح أيضاً تجارة الرّقيق ، وماترتّب عليها من اتّفاقيّات لمنع هذه التّجارة والحالة الإجتماعية للرقيق ، ومعاملتهم من قِبل العرب وغيرهم من الأجانب .

وقد أفادت هذه الوثائق البحث إفادة عظيمة ، نظراً لدقّة معلوماتها من جهة ، ولاشتمالها على جميع العلاقات التي كانت قائمة بين سلطنة عمان والدّول الأجنبية من جهة أُخرىٰ .

ثانياً : الكُتب :

ومن المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدّراسة بعض الكتب التي نشرتها وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ، والتي حرصت فيها على تقديم التراث العربي الإسلامي ، وإبراز الدّور الرّائد الذي اضطلع به المسلمون في تنمية المجتمعات الأفريقية .

١ . كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار :

ومن هذه المصادر كتاب جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار للمؤلّف الشّيخ سعيد بن علي المغيري ، والذي كتبه في اليوم السّابع من شهر رمضان عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨/١٠/٣٠م في جزيرة فوندة من أعمال بمبا .

ورغم أن المؤلّف يعتبر مؤرّخاً معاصراً حديث العهد ، إلاّ إنه تناول في تاريخه فترة زمنية بعيدة ، استقىٰ معلوماتها من الكتب العربية والأُوربّية التي سبقته ، ومن روايات المعاصرين الموثوق بهم .

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن المؤلّف كان معاصراً للأحداث التي دارت في شرق أفريقية وزنجبار في التاريخ الحديث ، كما التزم بالرّجوع إلى المصادر الأصليّة المتنوّعة ، سواء كانت عربية أو أجنبيّة ، مثل الكتب والوثائق التي حصل عليها من السّلطان خليفة بن حارب ، والشيخ عيسىٰ البرواني ، وغيره من العلماء . وقرأ كتب المؤرّخين العُمانيّين ، أمثال ابن رزيق . وكان كثير السّفر والترحال ، فقابل

عدداً من الشّيوخ المسنّين ، وكتب وسمع الكثير منهم ، كما ضمن المغيري كتابه االكثير من المراسلات الرّسمية والمختومة والموثوقة من السّلاطين والجهات الرّسمية المختلفة ، وهي تمثّل وثائق على جانب عظيم من الأهمية للدارسين في الشّؤون السياسية والاقتصادية لشرق أفريقية وزنجبار .

وكتاب جهينة الأخبار المخطوط يقع في ثلاث وسبعين وخمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد كتبه أكثر من ناسخ بالقلم الهندي وبالخط النسخ . وكتب المؤلّف بعضاً من صفحات الكتاب بخط يده ، واحتفظ بمخطوط هذا الكتاب ابنه جمعة بن سعيد المغيري بعد وفاة والده ، ثم قدّمه في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م إلى وزارة التراث القومي والثّقافة ، حيث حُقق وطُبع مرّتين الأُولىٰ بقلم الأُستاذ عبدالمنعم عامر ، والثانية بقلم محمد على الصّليبي . ويدلّ ذلك على أهميـة هذا الكتاب ، نظراً للتطوّر المنهجي في الدّراسات التّاريخية .

وقد عمد المؤلّف إلى اتّباع الطريقة الحولية في تدوين الحوادث ، من القديم إلى الوسيط إلى الحديث . فتحدّث عن الحُكّام والسّلاطين بالتفصيل ، جاعلاً اسم السّلطان أو الحاكم عنواناً للعصر الذي تحدّث عنه ، ثم أدرج تحته أهم الأحداث التي وقعت في عصره ، وأهم الشّخصيّات والكُتب وغير ذلك من الأمور .

كما أبرز المؤلّف اهتماماً خاصاً بأثر علم الجغرافيا في دراسة التاريخ على أساس أن الأرض هي المسرح الذي تدور عليه أحداث الإنسان ، فتحدّث عن السّكّان الأصليّين للمنطقة موضّحاً أصولهم وطرق معيشتهم ، وأماكن وجودهم ، وأسماء قبائلهم وسلاطينهم ، ثم علاقاتهم بالعرب المسلمين ، مثبتاً ذلك بالوثائق والكتب والمصادر التي توضّح العلاقة الطّيبة والمساواة التي كانت بينهم وبين العرب .

ثم ذكر المؤلّف الأجناس المتعدّدة التي وفدت إلى هذه المنطقة ، ووضّح طرق حياتهم ومعيشتهم وأعمالهم ونشاطهم المتنوّع وتعتبر الإحصاءات التي وردت في كتاب جهينة الأخبار مصدراً مهمّاً ، يؤيّد الآراء التّاريخية لمعرفة الكثير عن تاريخ زنجبار ، مثل عدد السّكّان وتوزعهم والمدن والموانىء ، ومايصل إليها من صادرات وواردات ، وعدد أشجار القرنفل وغيرها من المنتجات الزّراعية .

ويعتبر هذا الكتاب في نفس الوقت مصدراً هاماً لمعالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تهم الباحث في التاريخ الأفريقي ، مثل قضيّة الرّق التي ألصقها بعض الكُتّاب الأُوروبيين بالعرب ، ودافع عن ذلك بأدلّة من الدّين الإسلامي والتقاليد العربية ، إذ قارن بين وضع الرّقيق في ظل حكم العرب ، وبين أوضاعهم في ظل الإستعمار .

وأُسلوب الكتاب بوجهٍ عام هو أُسلوب عربي سليم ، لايحتاج إلى تصويب أو إصلاح ، قياساً بكُتب المؤرّخين المعاصرين له ، فهو ليس كتاب لغة أو أدب ، وإنما كتاب تاريخ ، استخدم فيه الكاتب بعض الأسماء الأجنبيّة على حالتها الصّوتية ، مكتوبة باللغة العربية ، كما احتوىٰ على الكثير من الكلمات والمصطلحات السواحلية ؛ لذلك يمكننا القول : إن هذا الكتاب من أهم الدراسات التاريخية التي عالجت الدّور التّاريخي والحضاري للعرب المسلمين في شرق أفريقيا وزنجبار .

٢ . مذكّرات أميرة عربية :

كما استقىٰ البحث معظم معلوماته الاجتماعية من كتاب مذكّرات أميرة عربية وهو من منشورات التراث القومي والثقافي أيضاً . ومؤلّفة الكتاب هي الأميرة



السيدة سالمة ابنة السيد سعيد بن سلطان . ولدت في عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م وتوفّيت في عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م عن عُمرٍ يناهز الثمانين عاماً .

وأهم مايميّز هذا الكتاب طابع الندرة ، الذي يتّسم به في موضوعه ، والصّراحة التي عولج بها ، فهو مذكّرات إحدىٰ بنات السّيد سعيد الأميرة الشّرقيّة التي تخرج على تقاليد قومها ، فتتزوّج شاباً ألمانيّاً كان يعمل في شركة ألمانيـة في زنجبار ، هو المستر روت . وتستبدل حيـاة الحجاب في الشّرق بحياة الاختلاط والسّفور في أُوروبّا ، وباسمها العربي السّيدة سالمة بنت سعيد اسم البرنسس إميلي روت ، كما تستبدل الدّين الإسلامي بالنصرانيـة ، وبعد عشرين عاماً وعندما تضيق بها الحياة وتحن للعودة إلى وطنها ، تُغلق أبواب هذا الوطن في وجهها ، فتعتكف لتكتب باللغة الألمانية قصّة حياتها وتجاربها ، وتستعيد ذكريات بلادها ، وبني قومها . فتكشف في صفحاتها عن إعجابها الشّديد بالدّين الاسلامي ، وحياتها القديمة والتقاليد والعادات العربيـة الإسلامية ، وقد بذلت جهداً كبيراً في الدّفاع عن الإسلام والعروبة . وإظهار مقتها للمسيحية وعادات الغرب وتقاليده ، مشيرة إلى كثير من السّلبيّات في الأخلاق والسّلوك عند الغربيين ، والتي من أهمّهـا التّحامل على الدّين الإسلامي ، وتضليل النّاس عن مبادئه العظيمـة .

وتعتبـر هـذه المذكّرات سجلاً حافلاً بالوصف الدّقيق للأحوال الاجتماعية والسياسية في زنجبار . فالمؤلّفة ابنة السيّد سعيد ، وعاشت في القصر السّلطاني ، وعرفت جميع دخائله وخفاياه ، لذا فقد أعطتنا وصفاً دقيقاً للحياة في القصر بمراسيمه وتقاليده ، وأُسلوب العيش فيه ، وذلك بطريقة بسيطة واضحة ، فيها المتعة والطرافة والفائدة للرّاغبين في دراسة هذه الأمـور .

ومما يزيد من أهمية هذه المذكّرات الجدّة في معالجتها ، لأن الأدب النسائي وكتابة السيرة الذّاتية ، والمذكّرات الشّخصية عمل نادر ، وهذا الكتاب بطبعاته باللغات الثلاث - الألمانية والإنجليزية والعربية - التي صدر بها نادر الوجود ، لايمكن الحصول عليه بسهولة ويسر .

وقد تميّز أُسلوب هذه المذكّرات بالسّهولة والبساطة وبصدق عرضها وعفويّته . كذلك تضمّنت المذكّرات وصف مظاهر متعدّدة للحياة والتقاليد الاجتماعية السّائدة في زنجبار ، وعرضها بطريقة صادقة ، فقد وصفت البيوت والزّيارات التي تتم فيها وحياة الجواري والضرائر ، وطرق طهي الطّعام ، وغير ذلك من الأمور الدّقيقة .

ويقول عبدالمجيد القيسي مترجم هذه المذكّرات في السّيدة سالمة :

> « وقد يقسو البعض في حكمهم على هذه المرأة ، فهي قد خرقت ولاشك تقاليد قومها ، وأساءت إلى سُمعة بيتها الكبير ، وهجرت بلدها ، وتركت دينها . ولكن يكفي أنها دفعت ثمن خطيئتها حياة طويلة في الغُربة والتّشرّد والكفاح المرير من أجل العيش لها ولأبنائها ، ولعلّ كتابة مذكّراتها هذه ماهو إلاّ مظهر ندامة وتكفير عمّا صنعت »[1] .

٣ . البوسعيديون حُكّام زنجبار :

ومن المصادر الهامة التي نشرتها وزارة التّراث القومي والثقافة ، كتاب الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي : البوسعيديون حُكّام زنجبار .

---

(١) ابن سلطان ، السيدة سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ص٥٠-٥١ ، ترجمة عبدالمجيد القيسي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

وقد أفاد هذا المصدر الدراسة الحالية إفادة كبيرة ، فقد تضمّن معلومات دقيقة ومهمّة عن حُكّام زنجبار البوسعيديين ، متّبعاً أُسلوباً خاصاً لم يتّبعه أحد من قبله في الكتابة عن تاريخ زنجبار . فقد بدأ بالحديث عن كل حاكم ذاكراً نسبه ، وتاريخ مولده ، وزوجته أو زوجاته ، وأطفاله الذّكور والإناث ، ثم مدّة ولايته الحكم ، ووزرائه ، وأمواله ، ومن كان يقوم برعايتها ، وهيئة قضائه وعساكره ، وبعض الشّخصيّات الهامة والقناصل في عهده ، ورحلاته التي قام بها ، وطريقة حُكمه - ومن كان ينوب عنه في الحُكم في فترة غيابه - وحفظه الأمن ، والحروب التي وقعت في عهده ، وأسطوله التجاري والحربي ، وأهم قادته ، ثم أخيراً وفاته ومنجزاته التي خلفها من بعده .

٤ . الفتح المبين في سيرة السّادة البوسعيديين :

ومن منشورات وزارة التراث القومي والثقافة التي اعتمد عليها البحث ، كتاب : الفتحُ المبين في سيرة السادة البوسعيديين للمؤلّف حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت . وقد أفاد هذا الكتاب في معرفة الدّور الذي قام به العمانيون في تأسيس سلطنة زنجبار الإسلامية .

٥ . سلطنة عمان خلال حُكم السيد سعيد بن سلطان :

ومن الكتب التي اعتمد عليها البحث ، ومن منشورات وزارة التراث القومي والثقافة كتاب : سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) تأليف رودلف سعيد روت ، ابن السيدة سالمة ، الذي غرست فيه أمه الحب ، والإعجاب الشديد لجدّه السيد سعيد ، والكاتب شب وترعرع في بلدة المانيا ثم انتقل مع أمه إلى انجلترا حيث عاش فيها ، وقابل عدّة مرات اخواله وأبناءهم من سلاطين مسقط وزنجبار حيث كتب هذا المؤلف . وقد أفاد هذا

الكتاب الرّسالة بالمعلومات القيّمة التي ذكرها عن سيرة السيد سعيد وأعماله ، ثم استقراره في زنجبار ، واتّخاذها عاصمة له ، وسياسة السيد سعيد الخارجية .

٦ . رحلة الأشواق القويّة إلى مواطن السّادة العلويّة :

أما كتاب : رحلة الأشواق القويـة إلى مواطن السـادة العلويـة للمؤلّف الشيـخ عبدالله بن محمد بن باكثير الكندي الذي ولد في مدينة لامو بساحل أفريقيا الجنوبية الشرقية عام ١٢٧٦هـ وتوفى عام ١٣٤٣هـ في مدينة زنجبار، فيعتبر سجلاً حافلاً بالوصف الدّقيق للعلماء السادة العلويين ، الذين كان لهم دور كبير في تمثيل القيادة الفكرية والدّينية ، والذين تركوا أثراً كبيراً ومهماً بالنسبة لانتشار الإسلام في زنجبار وشرق أفريقيا . طبع على نفقة الشيخ سعيد بن محمد الخشي والفاضل محمد بن عبدالله موسى بزنجبار في مطبعة العلوم .

٧ . شمس الظّهيـرة :

واعتمدت الدراسة أيضاً على كتاب : شمس الظّهيرة تأليف العلاّمة السيّد الشريف عبدالرّحمن بن محمد بن حسين المشهور المتوفي عام١٣٢٠هـ ، الذي أورد معلومات دقيقة عن العلماء العلويين المسلمين في زنجبـار ، ودورهم في نشر الإسلام ، والحضارة الإسلامية في زنجبار وشرق أفريقيا . طبع هذا الكتاب في حيدر أباد بالهند على مطبعة مجرية عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، ثم طُبع بمطبعة موليا العطاسية في سورا بايا بأندونيسيا عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .

٨ . غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبـار :

كما استفادت الدراسة من كتاب غرائب الأخبار عن شرق أفريقيا وزنجبار للمؤلّف توفيق ميخائيل ، إذ أمد الدراسة بمعلومات وافية في وصف مدينة زنجبار

وسكّانها من عرب وأفارقة وهنود وغير ذلك من الجنسيّات المختلفة ، والعادات والتقاليد المتّبعة عند كل جنس ، فهو شاهد عيان يصف مايرى بطريقة صادقة ومفيدة ، لاتخلو من المرح والمتعة في آنٍ واحد .

ثالثاً : الدّوريّات العلميّة :

واعتمدت الدراسة أيضاً على بعض الدّوريّات العلمية الحديثة ، كالمقالة التي نشرتها مجلّة الهلال عن حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو بعنوان أشهر الحوادث وأعظم الرّجال ، بقلم الشيخ ناصر بن سليمان اللمكي ، الذي أمد الدراسة بترجمة ممتازة عن حياة وأهم أعمال حميد المرجبي . ثم موقفه من المستعمرين الأوروبيين ، ومساعدته للرّحّالة والمستكشفين .

ومقالة إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها التي أعدّها الأستاذ بجامعة دار السّلام بتنزانيا هـ . م . باتيبو ، والتي أوضح فيها أهمية اللغة العربية بالنسبة للغة السواحلية وتطويرها ؛ لأن التواجد العريق للثقافة العربية الإسلامية كان له أكبر الأثر في تقدّم وانتشار اللغة السواحلية .

رابعاً : المراجع الأجنبيّة :

واعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع الأجنبية الموثقة والمرتبطة بموضوع الدراسة . والتي أخذت منها معلومات كثيرة ، ولكن بعد وضعها تحت مجهر دقيق ، يتطلّب الكثير من الرّوية والحذر ، وخاصةً عند الرّد على المفتريات التي جاءت بها . ومن هذه الكتب :

- الإسلام في شرق أفريقيا للمؤلّف سبنسر ترمنجهام ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي .

- الدّعوة إلى الإسلام للمؤلّف توماس أرنولد ، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن وآخرون .

وأيضاً :

-	General Rigby	: Zanzibar and The Slave Trade .
-	R . Coupland	: The Exploitation of East Africa .
		: East Africa and Its Invaders .
-	F . B . Pearce	: Zanzibar .
-	N . R . Bennett	: Studies In East Africa .
		: Zanzibar In Contemparary Times .
-	R . F . Burton	: Zanzibar 2 Vols.

وتحتوي الدّراسة على مقدّمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة ، يضم كل باب عدّة فصول .

احتوت المقدّمة على أهمية الدراسة ، وأهدافها ، ثم دراسة تحليلية لأهم الوثائق والمصادر والمراجع التي اعتمدت عليه الدراسة .

أما التمهيد ، وقد جاء تحت عنوان :

العمانيون وقيام سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا .

فهو يعطينا مدخلاً للموضوع الرّئيسي للدراسة ، وكيف تعرّضت منطقة عمان للاضطرابات الدّاخلية في نهاية حكم الأسرة اليعربية (١٠٣٣هـ/١٦٢٤م - ١١٥٣هـ/١٧٤١م) . كما يناقش التمهيد كيفية مشاركة الحكام العمانيين في طرد البرتغاليين ، ثم قيام الدّويلات العربية في زنجبار وكلوه ومافيا Mafia ، وكيف استطاع المزاريع العمانيون الاستقلال في حكم ممباسا .

ويوضّح التمهيد أيضاً إجماع العمانيين على اختيار الإمام أحمد بن سعيد حاكماً لعمان ، وتأسيس الأسرة البوسعيدية ، وكيف تمكن من حماية البلاد

وتوحيدها ، والعمل على استقرار الأمور السياسية والاقتصادية ، وتشجيع التجارة وتنظيمها .

وينتقل التمهيد إلى ولاية السيد سعيد بن سلطان ، وكيف استطاع أن يتخلّص من جميع متاعبه السياسية الداخلية والخارجية ، ثم محاولاته المتعددة للسيطرة على ممباسا ، والقيام في وجه آل مزروعي ، وكيف استطاع وضع ممباسا تحت سيطرته ، وإخضاع شرق أفريقية للحكم العماني البوسعيدي .

ثم يتناول التمهيد أيضاً استقرار السيد سعيد في زنجبار ، واتّخاذها عاصمة له عام ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م ، والأسباب التي دفعته إلى ذلك ، وكيف أصبحت زنجبار حاضرة توحيد بين عمان وشرق أفريقيا ، في إطار سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي واحد . وتحوّلت إلى مركز رئيسي للتجارة في شرق أفريقيا .

أما الباب الأول ، فقد تناول دراسة النواحي الاقتصادية في عدّة فصول ، جاء أوّلها تحت عنوان عوامل الازدهار الاقتصادي في زنجبار .

ويدرس هذا الفصل التعاون التجاري والاقتصادي العربي والأفريقي الذي وجد منذ أقدم العصور ، واستمر إلى العصر الحديث ، والعوامل التي ساعدت على التقدم الاقتصادي ، كالجوار والعوامل الجغرافية . وكيف أن الرّياح الموسمية التي تهب في منطقة المحيط الهندي مكّنت السّفن الشراعية الصّغيرة المعروفة بالدّاو Dhow من القيام برحلتين منظّمتين في السّنة بسهولة ويُسر .

ويشرح هذا الفصل الطّرق والمراكز التجارية التي أسسها العرب المسلمون على الشّواطىء الساحلية ، والتي تعتبر المرحلة الأُولىٰ أو بداية التعامل التجاري بين العرب والقبائل الأفريقية . ثم يعالج تجارة العاج وكيفية الحصول عليه .

كما تناول الفصل الثاني اهتمام السيد سعيد بالنهضة الزراعية التي أحدثت تغيّرات بعيدة المدىٰ في الوضع الاقتصادي في شرق أفريقيا . فقد أدخل زراعة القرنفل لأول مرّة ، حتّىٰ أصبحت جزيرتا زنجبار وبمبا المصدر الرئيس للقرنفل ، وتشكل صادراتها ٩٠٪ من الإنتاج العالمي .

أما الفصل الثالث فقد ركّز على النشاط التجاري نتيجة انتقال السيد سعيد إلى زنجبار ومعه آلاف من التجّار العرب المسلمين والهنود ، وكيف تحوّلت زنجبار من قرية صغيرة للصيد إلى أعظم ميناء في الأطراف الغربية من المحيط الهندي ، كما أصبحت المركز الرئيسي للتجارة الأفريقية الآسيوية بصفةٍ عامة ، ثم كيف حظيت التجارة بالاهتمام الأكبر في السّلطنة العربية الإسلامية . وفي هذا المجال حرصت على تحقيق اتصال بين اقتصاد شرق أفريقية والاقتصاد العالمي عن طريق مجموعة من المعاهدات والاتّفاقيات التجارية مع كلٍ من الولايات المتّحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وغيرها من الدّول الأوروبّية .

ثم تناول الفصل الأنظمة الاقتصادية التي وضعها السيد سعيد ، ومرونتها ، بحيث كانت لاتزيد التعرفة الجمركية فيها على ٥٪ على الواردات التي تأتي إلى الموانىء في شرق أفريقيا ، وإعفاء الصّادرات من أعباء الضّرائب لتخفيف الأعباء التجارية وتشجيعها ، وكيف تميز عهد السيد سعيد بوضع نظام نقدي يحل محل العملات المتعدّدة الجنسية ، والتي كانت مستخدمة في شرق أفريقيا .

وتعرّض الفصل الرّابع للصناعة والحِرف ، كالحِدادة والتّجارة والصّيد وصِناعة الأقمشة والصّابون وبعض المصنوعات اليدوية الأُخرىٰ .

أما الباب الثاني وعنوانه النواحي الاجتماعية فهو يتناول بالبحث النواحي الاجتماعية في فصلين ، أولهما تحت عنوان عناصر المجتمع . ويستعرض هذا الفصل المجموعات السكّانية الرّئيسة في زنجبار ، من العرب المهاجرين من عمان ، وحضرموت ، وجنوب الجزيرة العربية ، والذين أسهموا في تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثّقافيــة والفكـرية من الأفارقة ، والقبائل السواحلية المختلفة ، والهنود ، وإلى جانب ذلك بعض القمريين والصّوماليين وغيرهم ، وكيف انصهرت هذه المجموعات واندمجت - رغم تعدد وتنوّع أصولهم العرقية واختلاف عاداتهم وتقاليدهم ولُغاتهم - بسبب التجانس الدّيني ، والحضاري والتسامح ، والاحترام الذي أبداه الحكّام البوسعيديون . وكيف انعكست هذه الرّوح المتسامحة بصورةٍ إيجابية على الصّلات الطّيبة والوثيقة فيما بين هذه الأجناس المتنوّعة .

أمّا الفصل الثاني وعنوانه : مظاهر الحياة الاجتماعية فهو يتناول بالدراسة مستوىٰ المعيشة لدىٰ شعوب شرق أفريقيا ، وكيف أن عمران مدينة زنجبار من قصور ومساجد ومبان يعود للعرب المسلمين .

ثم يعرض توافر المرافق العامة في زنجبار ، وكيف عمل سلاطينها وحُكّامها على توفير كل مايمكن لتحسين الوضع فيها .

ويتناول هذا الفصل أيضاً أزياء سكان منطقة زنجبار وتنوّعها تبعاً لاختلاف الأجناس والتمايز الطّبقي ، ويوضّح أن هذه الفوارق قد تلاشت مع مرور الوقت ، مما يعكس مدىٰ التقارب الاجتماعي في المجتمع السواحلي ، وذلك للأثر العربي والرّوح الإسلامية التي يبدو في أزياء الرّجال والنّساء على حدٍ سواء .

وينتقل الفصل إلى دراسة العادات والتقاليد المتّبعة في المأكل والمشرب في زنجبار ، والتي كانت تختلف وتتنوّع باختلاف وتنوّع الأجناس السّاكنة في زنجبار ، وكيف

أدخل الإسلام بعض العادات والتقاليد الاجتماعية في آداب الطّعام وفي الأعياد والمناسبات ، كالصّوم وكيفية أداء نُسكه ، ثم الواجبات والعادات والتقاليد المشهورة في هذا الشّهر الفضيل ، والتي تتمشّىٰ مع مبادىء الدّين الإسلامي ، وتشرح الدّراسة أيضاً الاحتفال بعيدي الفطر والأضحىٰ ، والمراسم التي كان يتبعها الحاكم وعامة النّاس .

كما يستعرض هذا الفصل بعض المعتقدات والممارسات الشّائعة في المجتمع السواحلي ، مثل العادات والتقاليد المتّبعة عند الولادة ، والختان ، والزّواج ، والطّلاق ، والمآتم ، وغير ذلك من الأمور الاجتماعية ، وكيف هذّب الإسلام بعض هذه العادات والتقاليد وجعلها تتماشىٰ مع مبادىء الدّين الإسلامي الحنيف .

وينتقل الفصل إلى بعض المعتقدات التي كانت سائدة في المنطقة كالسّحر والشّعوذة ، وكيف كان الفرد يقبل عليهما عندما يعجز عن معرفة مسببات الأشياء ونتائجها ، وبخاصةً ماكان منها يتعلّق بالظّواهر الطّبيعية وتفسيرها . وتناول الفصل أيضاً أنواع السّحر وتقسيماته من حيث الهدف والغاية منه ، والأرواح المتقمّصة والأسياد ، ثم طرق العلاج التي يجب اتّباعها لطرد الرّوح الشّرّيرة من الجسد الذي تتقمّصه .

ثم بيّن الفصل دور العلماء المسلمين في القضاء على هذه الممارسات والأعمال البعيدة عن روح الإسلام ، وأثرها السّيء في إفساد المجتمع .

وتعالج الدّراسة بعد ذلك مسألة الرّق كقضيّة اقتصادية واجتماعية ، وتُبيّن موقف الدّين الإسلامي منه .

وتوضّح الدراسة أن العرب المسلمين كانوا يمارسون التجارة منذ العصور القديمة ، وبخاصة تجارة العاج ، وتجارة الرّقيق على نطاق ضيّق ، وكانوا يحصلون عليه عن

طريق التجارة ، وفي نطاق ضيّق ، وكيف أن تجارة الرّقيق لم تصل إلى درجةٍ كبيرةٍ في الازدهار والتقدّم بشكلٍ منظّم إلاّ في بداية القرن العاشر الهجري الموافق القرن السّادس عشر الميلادي ، وبعد امتهان الأوروبيين لها .

وتُحدّد الدّراسة المصادر الرّئيسية للرّقيق ، وحالتهم الإجتماعية ، وتقسيماتهم الأساسية ، ثم موقف بريطانيا التي اعتنقت دعوة تحرير الرّقيق متظاهرة بتضامنها مع الإنسانية المعذّبة ، وأخيراً النتائج الاقتصادية والاجتماعية ، التي ترتبت على تحرير الرّقيق بالنسبة للسّلطنة وأفراد المجتمع في شرق أفريقيا وزنجبار .

أما الباب الثالث وعنوانه النواحي الثقافية والفكرية فقد قُسّم إلىٰ ثلاثة فصول ، أوّلها :

المذاهب والطّوائف المختلفة في البلاد ، وغلبة مذهب أهل السّنّة والجماعة .

ويتناول هذا الفصل المذاهب والطّوائف الموجودة في شرق أفريقيا وزنجبار ، وكيف كانت الغلبة لمذهب أهل السُنّة والجماعة ، رغم أن الأباضية كانت المذهب الرّسمي للعمانيين حُكّام هذه المنطقة . كما بيّن الفصل أهم الأسباب التي أدّت إلى ذلك ، وروح التّسامح التي أبداها السيد سعيد بالنسبة للمذاهب والطوائف الأُخرىٰ ، وكيف أجمعت جميع المصادر العربية والأجنبيّة على روح الاعتدال والتّسامح التي تميّز بها حُكم السيّد سعيد بن سلطان .

أمّا الفصل الثاني فعنوانه : التعليم الإسلامي في المساجد والمدارس ، ثم دور العلماء في تركيز دعائم الدّعوة الإسلامية في شرق أفريقية .

ويناقش هذا الفصل ، التعليم المبكّر في المنطقة ، والذي كان يتمثّل في الكتاتيب وحلقات التدريس في المساجد ، ودور العلماء المسلمين في نشر الوعي والثّقافة

الإسلامية تدريساً وتأليفاً ، والعدد الكبير الذي تتلمذ على أيديهم من سُكّان شرق أفريقيا وزنجبار . كما يُناقش الفصل دور العلماء في إدارة المجالات الحيوية في جميع أنحاء زنجبار وشرق أفريقية ، الذين يطبقون حُكم الشّرع كما تولّوا مهام التربية والتعليم .

أمّا الفصل الثالث وعنوانه : الثقافة السّواحلية .

وتناول نشأة اللغة السّواحلية ومصادرها ، ثم الشّعوب المتحدثة بها . كما تبيّن أهمية اللغة السواحلية ومكانتها الثانية بعد اللغة العربية ، من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها . وتبرز الدراسة في هذا الفصل أثر الإسلام واللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها ، وكيف امتازت اللغة السواحلية على شقيقاتها اللغات البانتوية باقتراضها نسبة عالية من الألفاظ العربية ، خاصةً الشئون الدّينية والاجتماعية والاقتصادية ، وكيف أن اللغة السواحلية كانت تكتب بالهجائية العربية حتىٰ منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن الإستعمار الأوربي البغيض قام بتغيير حروفها الهجائية العربية إلى اللاتينية ، حتىٰ تبتعد عن أصولها العربية .

وتوضّح الدّراسة بعد ذلك كيف لعبت اللغة العربية دوراً هاماً في حياة النّاس في شرق إفريقية منذ قرون عديدة ، وكيف أن العرب كان لهم الدّور الرّئيسي في نشر خصائص الإسلام واللغة العربية .

وتبين الدراسة أثر الإسلام والثقافة السواحلية في شرق أفريقيا وزنجبار .

أمّا الباب الرّابع والأخير وعنوانه : دراسة نموذجية للأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في تطوّر الممالك الأفريقية .

ويقع في فصلين ، أولهما تحت عنوان : مملكة بوغندا ، وتتناول الدراسة في هذا الفصل الأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في أوغندا ، وكيف ازدهرت التجارة وعمّ الرّخاء سُكّان المناطق بتأثير التجار العرب المسلمين ورحلاتهم التجارية ، التي كان لها شأن كبير في تبادل الآراء والأفكار ، ونشر الدّين الإسلامي في أوغندا . وتقدم الدراسة نموذجاً لهؤلاء الدّعاة المسلمين ودورهم في وضع الأساس المتين للإسلام في هذه المنطقة .

أمّا الفصل الثاني وعنوانه : قيام إمارات عربية وإسلامية في أعالي الكونغو . ويتطرّق هذا الفصل من هذه الدراسة لشخصية حميد بن محمد المرجبي تيبوتيب Tippo Tip ، المسيطر على مقاطعات الكونغو ، ودوره في تدعيم النّفوذ العربي في ساحل شرق أفريقيا ، وكيف استعان به سلاطين زنجبار ، ماجد ثم برغش - أبناء السيد سعيد - في تأكيد نفوذ السّلطنة العربية في المناطق الدّاخلية من البرّ الأفريقي .

كما يوضّح هذا الفصل موقف المرجبي من الرّحّالة والمنصرين ، واعترافهم بفضله عليهم ، ثم توضّح الدراسة التنظيم الذي وضعه المرجبي في الكونغو والذي يعتبر أوّل تنظيم سياسي واقتصادي وحضاري في الدّاخل .

أمّا خاتمة الرّسالة فتتناول أهم النتائج التي توصّلت إليها الدّراسة وتحليلها ، وربطها ببعضها ، والخروج منها بخلاصة لهذه الدّراسة تُمثّل إضافة إلى المعرفة .

وقد زوّدت الدراسة بمجموعة من الخرائط ، موزّعة على الفصول ، كل في مكانه التوضيحي من المتن تسهيلاً للقارىء ، بدلاً من تجميعها في مُلحق واحد في آخر الرّسالة .

وتشتمل الرّسالة على مُلحق يضم نماذج من الوثائق التي استقت منها الدّراسة مادتّها .

دعاء من القلب أن أكون قد وفّقت في إضافة شيء جديد برسالتي هذه إلى المعرفة عامة ، وإلى المكتبة الإسلامية خاصة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيـــــد

العُمانيون وقيام سلطنـة زنجبـار الإسلامية في شرق أفريقيـا

- تولّي البوسعيديين الحُكم في عُمـان .
- ولاية السيد سعيد بن سلطان ١٢٢١هـ - ١٨٠٦م .
- اهتمام السيد سعيد بساحل شرق أفريقيا .
- خُضـوع شرق أفريقيـة للحُكم العُماني البوسعيدي .
- استقـرار السيـد سعيـد في زنجبـار واتّخـاذهـا عـاصمـةً لـه ١٢٤٧هـ-١٨٣٢م

العمانيون وقيام سلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا

تولّي البوسعيديين الحكم في عُمان :

حدثت في عُمان سلسلة من الحروب الأهلية والمنازعات القبلية لعدّة سنوات بعد وفاة الإمام سيف بن سلطان (١٦٨٠هـ-١٧١١م) . (١) وعندما تولّى الإمامة سيف بن سلطان (بن سيف) اليعربي عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م ، زادت حدّة الصراع في عُمان ، وذلك بسبب صغر سنّه ، وعدم تضجه . مما جعله يتّخذ قراراً غير حكيم ، بأن يطلب من نادرشاه الحاكم الفارسي مساعدته ضد القبائل العُمانية ، التي لم تكن راضية عن سيرته في إخماد الاضطرابات المحلية في عُمان .(٢)

أسرع نادرشاه ، وأرسل جنوده لأنه وجد في ذلك فرصة تحقق مطامع الفرس التقليدية للسيطرة على شواطىء خليج عُمان والخليج العربي ؛ فخرّبوا البلاد وقتلوا العديد من الرّجال والأطفال والنّساء ، واحتلّوا البلاد التي كانت في حالة انقسام(٣) ، فأصبحت عُمان في حالة شديدة من الفوضىٰ والاضطراب ، وبات الشّعب العُماني غير قادر على احتمال الفرس، ووجدوا أن أفضل سبيل لإنقاذ بلادهم من هذا الوضع السيء

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٦٩ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهـــرة ، ١٩٨٠م .

(٢) ابن رزيق حميد بن محمد ، الفتح المبين في سيرة السّادة البوسعيديين ، ج ٢ ، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، ومحمد مرسي عبدالله ، ١٩٧٧م ، المعمري أحمد حمود ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٦٩ .

(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، حسن ، سميره محمود ، " سلطنة آل بوسعيد وأرض الزنـج في شـرق أفريقيا " ، مجلة نهضة أفريقية ، العدد ٦ ، ص ٢٣ ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

هو التخلّص من الإمام سيف بن سلطـان بن سيف ، الذي جلب لهم الأزمات والنّكبات ، كما أثبت أنه غير جدير بمنصبه .

فاجتمع مشايخ العلم ورؤساء القبائل من نـزوى ، وأزكى ، وبهلا والرستات وغيرهم ، وقرروا خلعه من الإمامة ، ومبايعة سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي عـام ١١٥١هـ / ١٧٣٨م(١) ، الذي استطاع بشجاعته إيقاف تقدّم الفُرس ، فبايعته جميع قبائل عُمان بالإمامة ، إلا أنه توفي في حصار صحـار متأثراً بجراحه سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م ، وكان آخر الأئمّة اليعاربة . (٢)

وفي عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م انتخب أحمد بن سعيد بن أحمد بن عبدالله بن محمد البوسعيد إماماً ، فكان مؤسس أسرة آل بوسعيد ، أول دولة آسيوية أفريقية برزت في تاريخنا الحديث . (٣)

وقبل تعيينـة إماماً لعُمان ، كان يتولّىٰ منصب والٍ لصحار من قبل الإمام سيف بن سلطان ، وهناك جمع جيشاً ، وتولّىٰ حرب الفُرس ، الذين غزوا صحار عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م ، وقاد أهل عُمان إلى النّصر ، وطرد الفُرس منها . وحصل على صُلح

---

(١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٤٠ ، I. O. R. L/PS/5/507, P. 115,
B. A. P. D., No. 98, Part III, Muscat and Zanzibar, 1860, PP. 77 - 78.

(٢) درويش ، مديحة ، سلطنة عمان ، ص ٧٤ ، بيـروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
I. O. R. L/PS/5/507, P. 115.

(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٥٠ ، I. O. R. L/PS/5/507, P. 115.
جيان ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقية الشرقية ، ص ٤٢٣ ، ترجمة يوسف كمال ، القاهـرة ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م .

مشرف مع الفُرس ، بعد أن فكّوا حصار صحار وعادوا إلى بلادهم . (١) ولقد ازدهرت التجارة في عهد الإمام أحمد بن سعيد ، واستعادت مسقط وضعها السابق كمدينة مزدهرة ومركز تجاري هام(٢) . وعندما نقل مقر وكالة شركة الهند الشرقية سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م من بندر عباس إلى البصرة ، انتعشت التجارة في مسقط ، وأصبحت عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م مرسىً السّفن التجارية والبضائع المتبادلة بين الهند والخليج العربي والبحر الأحمر(٣) .

وخاض الإمام أحمد حروباً طويلة للقضاء على التّحدّيات التي واجهته من جهاتٍ عديدة ، خاصةً من اليعاربة ، وجاءته آخر التحدّيات من أنجاله ، سيف وسلطان ، مما أحزنه في آخر حياته . وعندما توفّي في التّاسع عشر من محرّم سنة ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م بعد أن قضىٰ مايقارب من ٤١ سنة في الإمامة(٤) ، وقد ترك سبعة أولاد وثلاث بنات ، خلفه ثاني أبنائه سعيد ، لأن الابن الأكبر هلالاً كان ضريراً .

ولقد نجح الإمام سعيد في الحُكم كزعيم ديني ، إلا أنه فشل كحاكم إداري . ولذلك انتزع ابنه حمد السّلطنة السياسية منه ، وأطلق لقب السيد على نفسه ، ونقل العاصمة إلى مسقط ، بينما بقي والده لايتمتّع بأية سلطة في الرستاق حتىٰ توفىٰ بين عامي ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م(٥) .

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٠ .

(٢) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٠ .

(٣) درويش ، مديحة ، سلطنة عمان ، ص ٧٩ .

(٤) المغيري ، سعيد بن علي ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص٢٣٠ ، تحقيق محمد علي الصليبي ، مطرح ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٥) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٠ - ٧١ .

وكان السلطان سعيد بن أحمد آخر من تلقّب بلقب إمام من أُسرة آل بوسعيد . أما من جاء بعده فقد تلقّبوا بألقاب السادة والسلاطين .

ولم يكن هناك اتّفاق بين السيد حمد بن سعيد وبين أعمامه سلطان وسيف ، فقام حمد بمطاردة عمّه سيف ، الذي فرّ إلى لامو في شرق أفريقيا ، حيث توفي هناك(١) .

وقد أعلن سلطان بن أحمد الحرب على ابن أخيه حمد انتقاماً لأخيه سيف ، ولكن انتهت الحرب ، عندما توفى السيد حمد بن سعيد ، الذي أُصيب بداء الجدري سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م . (٢)

ثم تولّىٰ بعده السيد سلطان ، الابن الخامس للإمام أحمد في عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢م . (٣) وكانت له الكثير من الصفات الحميدة كوالده الإمام أحمد .

وفي عهده تطوّرت القوى البحرية والتجارية في عمان ، واهتم اهتماماً كبيراً بالتوسّع الخارجي ، وجعله سياسة ثابتة له ، فاستولىٰ على الموانيء الهامة في ساحل مكران ، وضم إلى سلطنته المنطقة الساحلية في شهبار ، وقام باستئجار ميناء بندر عباس ، منذ عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م ، وبذلك صارت عمان في عهده تتكوّن من شريط ساحلي ضيق في شبه جزيرة العرب إلى جانب عدد من الجزر والموانيء ،

---

(١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٤١٥ .

(٣) الفارسي ، عبدالله بن صالح ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص٧ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، العقاد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٢ ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، غُنيمي ، رأفت ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٦٦ ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

حتىٰ حدود باكستان الحالية ، بالإضافة إلى جزيرة زنجبار . (١)

ولقد دامت فترة حُكم السيد سلطان بن أحمد ثلاثة عشر عاماً ، حيث توفى في سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م ، فخلفه ابنه سعيد بن سلطان البالغ من العمر الرابعة عشر لنشاطه وشجاعته وقوة شخصيته ، وساعده في الحكم عمته السيدة موزة بنت الإمام أحمد ، فكانت نعم الوصية حيث استطاعت بقوة شخصيتها وصلابة عزمها وحسن قيادتها أن تحفظ لابن أخيها بالمُلك وتدفع عن بلدها الخطر . (٢)

ولاية السيد سعيد بن سلطان ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م :

ولد السيد سعيد بن سلطان عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م في بلدة سمايل التي تبعد عن العاصمة مسقط حوالي خمسين ميلاً . (٣)

وتتفق أغلب المصادر على أن السيد سعيد كان طويل القامة ، نحيل القوام ، وقوراً مهيباً ، له شخصية جذّابة ، مؤثّرة في النّاس ، فلا يملك من يتعرف عليه إلا أن يمنحه الإعجاب والإكبار والاحترام ، محبّاً للخير ، ماهراً ، ذكيّاً ، متيقّظاً ،

---

(١) العقّاد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٢ .

(٢) السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ص ١٨ - ١٩ .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٣٣ ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ١١ ، ويتفق المغيري مع الفارسي في مكان الميلاد ، إلا أنه يختلف في تاريخ الميلاد ، فيقول إنه في عام ١٢٠٤هـ ،

Ingrams, W. H., Zanzibar, P. 161, London, 1967.

بشوشاً ، ذا سلوك معتدل ، تظهر عليه سمات النُبل والشهامة ، بسيطاً متواضعاً(١) ، وأخيراً يقول عنه انجرامز :

أنه الأول في الحرب ، والأول في السّلم ، والأول في نيل محبّة الآخرين . فهو الحاكم الذي تفخر به أي دولة في العالم . (٢)

تولّىٰ السيد سعيد الحكم في عمان في بداية جمادى الثانية عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م بعد عمّه بدر بن أحمد ، وبتولّيه دخلت عُمان مرحلة تاريخية جديدة . (٣)

فمنذ تولّي السيد سعيد الحكم في عُمان واجهته عدّة متاعب ، فقد كانت عُمان تُعاني من هجمات الدّولة السّعودية الأولىٰ ، ثم انضمام القواسم حكام رأس الخيمة إلى آل سعود ، حيث أصبحوا قوّة لايُستهان بها على ساحل الخليج العربي ، وسيطروا على الملاحة في الخليج ، مما سبب قلقاً وتهديداً للدّولة البوسعيدية . (٤)

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٥٦ ، ابن سلطان ، السيدة سالمة بنت السيدسعيد ، مذكّرات أميرة عربية ، ص ٦٠ ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان خلال حُكم السيد سعيد بن سلطان ، ص١٦ ، ترجمة عبدالمجيد القيسي ، البصرة ، ١٩٨٣م ، العيدروس ، محمد حسن ، " السلطان سعيد والعلاقات العربية الأفريقية " ، المؤرّخ العربي ، السنة الرابعة عشر ، ص٢٩ ، بغداد ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ،

Al-Maamiry, A. H. , Omani Portugese History , P. 63 , Lancers Publishers / 1982 .

(٢) Ingrams , W. H. , Zanzibar , P. 163 .

(٣) الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٥٣ ، نوفل ، سيد ، الأوضاع السياسيــة لإمـارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، ص٦٤ ، القاهـرة ، ١٩٧٩م ، قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقيا ، ص ١٠٠ ، القاهـرة ، ١٩٨١م .

(٤) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٥٣٢ - ٥٣٦ .

وهكذا نجد أن السيد سعيد ورث تركة محملة بالأعباء ، فالأعداء يُحيطون به من كل جانب ، والقبائل المتمرّدة تنتشر في جميع أرجاء عُمان .
كما كان القواسم يهددون التجارة العمانية في مدخل الخليج العربي ، وكذلك فإن النزاع الذي حدث بين الفرنسيين والبريطانيين قد يجرّ عُمان في أية لحظة إلى ماتخشاه ، إلاّ أن السّلطان سعيد استطاع التّخلّص من متاعبه هذه جميعها(١) بما عُرف عنه من الكفاءة والمقدرة .

اهتمام السيد سعيد بساحل شرق أفريقيا :

لقد قام العمانيون بدور كبير في العلاقات العربية الأفريقية ، ومن المسلّم به أن الرّوابط بين عُمان وشرق أفريقيا ترجع إلى عصر ماقبل الإسلام . وقد توطّدت هذه الرّوابط بحُكم التّبادل التجاري من ناحية ، ثم انتشار الإسلام من ناحيةٍ أُخرىٰ . فلقد استوطنت شرق أفريقيا بعض القبائل العربيـة التي هاجرت من مقاطعات الخليج العربي وسواحل شبه الجزيرة العربيـة مثل : اليمن وحضرموت وعُمان ، وأنشأت مراكز استيطانية أصبحت بعد ذلك الأساس الذي قام عليه الحُكم العُماني في شرق أفريقيا . (٢)

---

(١) محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقية ، ج ١ ص ٤٩٨ ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

Were , Gideon S, and Wilson , Derek A. , East Africa Through A Thousand Years , P. 97 , New York , 1970 .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، عُمان في شرق أفريقية ، ص ٧٩ - ٨٠ ، الجمل ، شوقي ، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ص ٦٤٥ - ٦٤٦ ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

أما بداية هذه العلاقات في التاريخ الحديث ، فيمكن إرجاعها إلى قيام دولة اليعاربة ، والدور الذي قامت به في طرد النّفوذ البرتغالي من عُمان . مما جعل أبناء شرق أفريقيا يرسلون وفداً منهم إلى الإمام سلطان بن سيف (١٠٥٩-١٠٧٩هـ) (١٦٤٩-١٦٦٨م) - من أئمّة اليعاربة - في عُمان يطلبون منه أن يقوم في جزر ممباسا وزنجبار وبمبا بنفس الدّور الذي قام به في عُمان. وفعلاً استطاع الإمام العُماني طرد البرتغاليين من زنجبار وباتا ، وتحوّل ولاء زنجبار إلى عُمان ، وأصبحت تدفع لها الجِزية(١) .

وبعد تولّي الإمام سيف بن سلطان اليعربي الحكم (١٠٧٩-١١٠٣هـ) (١٦٦٨-١٦٩٢م) ، استطاع إكمال مابدأه والده في طرد البرتغاليين من جزيرتي بمبا وكلوا . وبذلك أصبح حُكم المدن الساحلية الهامة في أيدي العرب العُمانيين الذين كونوا فيها حاميات عربية عُمانية ، فكانت زنجبار من نصيب قبيلة الحرث ، وممباسا لقبيلة آل مزروع ، وباتا تحت حماية قبيلة آل نبهان ، وبمبا تحت حُكم حاكم ممباسا . (٢)

وعندما تعرّضت عُمان للاضطرابات الدّاخلية في نهاية عهد الأسرة اليعربية (١١٥٣هـ/١٧٤١م) ، نتج عن ذلك قيام دويلات محلية عربية في شرق أفريقيا ، من

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٦٥ ، الحجري ، عامر محمد ، تاريخ العلاقات العُمانية الأفريقية ، ص ٧٨٣ ، ١٩٧٦م . الدوحة .

(٢) الحجري ، عامر محمد ، تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية ، ص ٧٨٧ ، المعمري ، عمان وشرق أفريقيا ، ص ٦٧ ، محمد ، عبدالله بخيت ، دراسات في الأدب السواحلي ، ص ٨٠ ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

أهمها أسرة المزاريع(*) العمانية ، التي استقلت بحُكم ممباسا لفترة من الزّمن ، حتّىٰ قيام أسرة آل بوسعيدفي عمان . وقد حاول الإمام أحمد بن سعيد السيطرة على ممباسا ، إلا إنه لم ينجح ، وظلّت تحت حُكم أُسرة المزاريع (١) ، غير إن بقيّة الممتلكات العُمانية الأُخرىٰ في شرق أفريقيا مثل زنجبار وبركة وكلوة ، ظلت على ولائها للحُكم البوسعيدي في عُمان(٢) .

وعلى الرغم من ضعف السيادة العُمانية على شرق أفريقيا مثل عهد السيد سعيد بن سلطان ، إلا إن البوسعيديين حرصوا على إنعاش العلاقات التجارية فيما بينهم .

فنلاحظ أن أكثر ما اهتم به الإمام أحمد بن سعيد ، هو إستمرار هذه العلاقات التجارية وذلك لانتمائه إلى أُسرة من التجّار ، واشتغاله بالتجارة لسنوات عديدة ، قبل انتخابه حاكماً لعمان ، فكان لذلك أكبر الأثر في اهتمامه بالناحية الاقتصادية . فكان يرسل سفينة كل عام ، لتأتي له بالموارد الأفريقية من المناطق التي كانت تعترف له بها . أما المقاطعات التي لم تعترف له بالسيادة ، فلم يعاملها بالقوّة ، ولم يفرض عليها سيطرته أو سيادته خوفاً من انقطاع الصّلات التجارية بينها وبين عمان(٣) .

(*) أسرة المزاريع ، فرع من قبيلة بني ياس ، سكنت ساحل عمان على الخليج العربي ، وقد حكمت هذه الأسرة في الشرق الأفريقي مايقرب من مائة عام . العقاد ، صلاح ، وقاسم ، جمال زكريا ، ص ٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

(١) محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٤٣٥ .

(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة آل بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ، ص ٦٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، القاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ، ص ٢٦ ، دُبي ، ١٩٨٩م .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ١١٧ ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، غُنيمي ، رأفت ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

لذا نستطيع القول أن ماقام به الإمام أحمد بن سعيد كان هو الأساس والدّعامة ، التي ارتكز عليها خُلفاؤه من بعده في تمسّكهم واهتمامهم في ضم الشّرق الأفريقي . حتىٰ نجح السيد سعيد بن سلطان في تأسيس دولة عربية عظيمة في شرق أفريقيا .

وظلّت ممباسا تحت قيادة آل المزروعي ، تقود حركة المعارضة والمقاومة ضد آل بوسعيد في شرق أفريقيا ، وظل الأمر بهذا الشّكل حتىٰ وفاة الإمام أحمد بن سعيد ، وبداية عهد السّلطان سعيد بن سلطان ، الذي كان أكثر إدراكاً لأهمية الشرق الأفريقي .

وعلى الرغم مما ذهب إليه بعض الباحثين من أن اتّجاه السيد سعيد في شرق أفريقيا ، كان محاولة منه للهروب من المشكلات الكثيرة التي كانت تواجهه في عمان ، ولكننا لانتّفق مع هذا الرّأي ؛ لأن اتّخاذ السيد سعيد سياسة أفريقية ، لم تكن تبعده عن المشاكل العمانية التي كان يفرغ لها جزءاً كبيراً من وقته وجهده . وإنما يدل ذلك على بُعد نظره وحرصه على هذا الجزء الهام من دولته ، لكثرة موارده ، ووفرة خيراته ، وزيادة فرص استغلالها(١) . بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف المستجدّة التي آلت إليها الدولة العمانية في عهده ، لم تضطره كما حدث لأسلافه من أئمة عمان إلى البقاء في دولة ذات طابع ديني تقليدي . فأخذ السيد سعيد يتحيّن الفرص لتحقيق أحلامه ومطامحه في شرق أفريقيا ، ووجد أن ممباسا في تلك الفترة هي المفتاح الرّئيسي للساحل الأفريقي الشرقي بكامله ، وبها أقدم وأكبر الموانيء الرّئيسية في شرق أفريقيا .

---

(١) قاسم ، جمال زكريا ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص ١١٩ .

وكانت رغبة السيد سعيد أن يسرع في القضاء على حُكم المزروعين ، ووضع ممباسا تحت سيطرته ، لولا انهماكه في حرب القواسم ، والعمل على استتباب النّظام في عُمان ، فلم يجد لذلك بداً من الانتظار حتىٰ عام ١٢٤٣هـ-١٨٢٨م(١) .

خضوع شرق أفريقية للحُكم العُماني البوسعيدي :

يمكن تقسيم تاريخ العرب في ساحل شرق أفريقيا ، حتىٰ قيام سلطنة زنجبار الحديثة إلى عدّة مراحل :

المرحلة الأُولىٰ : تميـزت باستقرار العـرب على السواحل الشرقية ، وإقامة المراكـز التجاريـة بها .

المرحلة الثانيـة : وتمتد من القرن السابع الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشـر الميلادي ، وفي هذه المرحلة سيطر المسلمون على تجارة المحيط الهندي ، واستقرّوا في ساحل شرق أفريقيا ، وكوّنوا وحدات سياسية في القرن العاشر الميلادي(١) . وصلت إلى قمّة تقدّمها وازدهارها في الفترة التي سبقت قدوم البرتغاليين إلى ساحل شرق أفريقيا .

أما المرحلة الثالثة : فقد تميّزت بوصول البرتغاليين إلى الساحل ، وسيطرتهم على التجارة في المحيط الهندي ، وانتزاعها من أيدي العرب والهنود .

وأخيراً المرحلة الرابعة : وقد قامت بها الثورات والحروب ضد البرتغاليين لسنوات عديدة ، حتى استطاع العرب تخليص الساحل الشرقي منهم ، وبذلك وضع الأساس لتكوين زنجبار الحديثة .

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٧٢ .

(٢) المسعودي ، أبي الحسن على بن الحسيني بن على ، مـروج الذّهـب ، ص ١٠٨ ، تحقيق محمـد محي الدين عبدالحميـد ، ط ٤ ، القاهـرة ، ١٩٦٤م ، قاسـم ، جمـال زكريا ، الأصول التاريخيـة ، ص ٨٢ - ٨٣ .

ترك الإمام سلطان بن سيف اليعربي - خلال تحريره لمناطق الساحل الشرقي استقل بها حُكّامها وأصبحت تحت سيطرتهم من عام ١١٤٣-١٢٥٢هـ/ ١٧٣٠-١٨٣٦م ، فيكون مجموع الأفريقي - حاميات عربية عُمانية فيها ، فكانت ممباسا لقبيلة آل مزروعي ، التي سنوات حُكمهم مائة وتسع سنين وشهرين وثمانية أيام . وكانت أراضيهم تمتد من رأس انغوجو Ungujo شمالاً إلى نهر بنجاني جنوباً . (١)

وبعد أن استتب الأمر للسيد سعيد في عُمان ، أعد أولى حملاته على ممباسا ، وكان ذلك في يوم الأحد ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م وحاصرها بأسطوله المكوّن من تسع سُفن ، وكان هو على ظهر سفينتة المسمّاة ليفربول Liverpool واستمر القتال اسبوعين سجالاً بين الطّرفين ، غير أنه لم يتمكّن من الاستيلاء عليها ، وتفاوض مع المزاريع على الصّلح ، وتوقيع معاهدة ، تعترف بسيادته، ثم غادرها بعد أن ترك بها حامية مؤلفة من خمسين جندياً في قلعة يسوع، ثم أبحر إلى زنجبار. (٢) وبعد أن أمضىٰ السيد سعيد ثلاثة أشهر فيها، عاد إلى مسقط لمواجهة حركة داخلية ، تمكّن من القضاء عليها في عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م . وبعد أن استقرّت الأمور في عُمان ، عاد وأبحر على رأس أسطول كبير إلى شرق أفريقيا ، وحاصر ممباسا فترة من الزّمن ، ثم تفاوض مع حكّامها على أن يبقىٰ الحكم في ممباسا للشيخ سالم المزروعي وورثته من بعده ، وتكون السيادة الاسمية عليها لعُمان ، وأن يدفع الحاكم المزروعي للسيد سعيد نصف الواردات ،

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٢٩ .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢١٨ ،

Ingrams , W. H. , Zanzibar , P.161 , Oliver , Roland and Mathew ,Gervase , East Africa ,P.213 London , 1963 .

ويبقىٰ في القلعة عدد من جنود السيد سعيد(١) . ثم غادر ممباسا إلى زنجبار عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م ، ولكنه لم يكد يستقر بها حتى عاد إلى عُمان ، لردع حركات التّمرّد ، والعمل على استقرار الأمور بها .

وما أن استقرّت له الأمور في عُمان ، حتى وصلته الأخبار عن تمرّد المزروعين في ممباسا من جديد ، وظل الأمر كذلك ، حتىٰ ساعدت الظروف السيد سعيد بوفاة سالم المزروعي عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م ، وتنازع أخوته خميس وناصر على الحُكم ، ووصول الأمر بينهما إلى القتال طوال عام كامل(٢) .

تولّىٰ الحُكم في ممباسا راشد بن سالم عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م ، وقد عمل على اضطهاد أخويه ومؤيّديهم ، مما جعل سُكّان ممباسا ، يطلبون العون والمساعدة من السيد سعيد ، الذي وجدها فرصة مواتية ، عندما طلبوا منه أن يتقدّم لمهاجمة المدينة ، على أن يقوموا بمساعدته وإمداده بالمعونة في ذلك الأمر(٣) .

فأرسل أسطوله ، وحاصرها ، وبعد مناوشات بسيطة استجاب حاكم الجزيرة الشيخ راشد بن سالم إلى المفاوضة واتّفق الطرفان على أن تبقىٰ السيادة على الجزيرة للشيخ راشد ، مقابل جلائه عن القلعة ، على أن تبقىٰ جيوش السيد سعيد فيها . وقد تحقق ذلك في عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م(٤) .

وحاول السيد سعيد أن يُغري الشيخ راشد وزعماء آل المزروعي بالتنــــازل عن

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٢٦ .

(٢) العمري ، أحمد سويلم ، العرب والأفريقيون ، ص ٥٣ ، عُمان ، ١٩٨٧م .

(٣) العقّاد ، صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٥٥ .

(٤) حراز ، رجب ، أفريقيا الشرقية ولاستعمار الاوروبي ، ص ٣٢ ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

الجزيرة ولكنهم رفضوا ، فما كان منه إلاّ أن أرسل ابنه خالد إلى ممباسا ، الذي تمكّن بطريق الخدعة من القبض على راشد المزروعي وحوالي خمسة وعشرين من أعيانها وشيوخها ، ونقلهم إلى زنجبار ، ثم حكم عليهم بالسّجن المؤبّد في بندر عبّاس التي كانت تحت الحُكم العُماني في ذلك الوقت(١) .

وبذلك خضعت ممباسا لحُكم السيد سعيد ، ودان له الشرق الأفريقي ، وتحقق له طموحه الكبير ، بعد جهود مضنية ، وحروب طويلة ، وحملات متكرّرة .

لم يغير سقوط ممباسا في يده من وضع زنجبار التي صارت عاصمة له ، وذلك لطموحه السيد سعيد في امبراطورية واسعة مترامية الأطراف ، قويّة الرّوابط التجارية(٢) .

ومع أن حدود أملاك السيد سعيد الأفريقية لم تكن واضحة ومحددة بشكلٍ ثابت ، إلاأن المصادر التاريخية تتفق على إنها تمتد على جميع الساحل والجُزر المقابلة له من رأس ديلجادو Delgado على خط عرض ٥٠ ،١١(٣) . فتشمل أملاكه العديد من الموانيء الهامة على الساحل الأفريقي الشرقي مثل ميناء مونغوه

---

(١) المعمري ، أحمد حمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٧٣ ، طه ، جاد محمد ، " دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار " ، العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٩٦ ، القاهرة ، ١٩٧٧م ،

Lyen, R. N., Zanzibar In Contemporary Times, P. 7, New York, 1969.

(٢) روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ، ص ١١٥ .

(٣) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، " العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين زنجبار " ، مجلة كلية العلوم الإجتماعية ، العدد ٦ ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، هولنجز وورث ل . و . ، زنجبار ، ص ١١ ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

Mongho ، وميناء مالينـدي Malinda وميناء لامو Lamu ، وميناء بتـه Pate ، وميناء برافا Brava ، وميناء مقديشو Makdesha ، وميناء كلـوه Quiloa ، وجُزر مافيا Mafeea أو موفيا Mowfea ، وزنجبار Zanzibar وبمبا Pemba ، وسوقطره Socotra ، وغير ذلك من الأملاك الأُخرى(١) .

كما امتد نفوذه أيضاً إلى داخل القارة ، حتىٰ وصل إلى حوض نهر الكونغو ، وإلى أُوغنده ، وإلى روديسيا(٢) .

وبذلك قويت العلاقات العربية الأفريقية ، وأصبح هُناك ارتباط قوي بين مسقط وزنجبار وكل شرق أفريقيا ووسطها .

---

(١) أبوعلية ، عبدالفتاح حسن ، العلاقات التجاريـة ، مجلـة كليـة العلـوم الإجتماعيـة ، ص ٢٦٣ .

(٢) الشيخ ، رأفت غُنيمي ، رأفت ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقية ، ص ١٧٥ .

استقرار السيد سعيد في زنجبار واتخاذها عاصمة له ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م

قاد السيد سعيد أول حملاته على ممباسا في عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م ، ولكنه لم يتمكّن من الاستيلاء عليها ، فرفع الحصار ، وأبحر إلى زنجبار ، التي كانت خاضعة للسيطرة العُمانية ، ومكث فيها ثلاثة أشهر(١) . إلاّ إن الاضطرابات التي حدثت في عُمان ، اضطرّته إلى العودة إلى مسقط ، وترك لابنه خالد(*) الحُكم في المناطق التي كانت خاضعة له في شرق أفريقيا .

وبعد القضاء على الفتن الداخلية في مسقط ، ولى السيد سعيد ابنه هلالاً(**) على عُمان بكاملها(٢) ، وتوجّه إلى شرق أفريقيا في عام ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م ، ليستقرّ في زنجبار ، ويجعلها عاصمة له(٣) وبذلك انتقلت السلطنة إلى زنجبار . فبدلاً من أن يحكم شرق أفريقية ومقر حُكمه في عُمان ، فإنه بدأ يحكم عُمان من مقر حُكمه في شرق أفريقية(٤) .

---

(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٢٠ .

(*)خالد : هو الإبن الثاني ، ولد عام ١٢٣٤هـ/١٨١٩م من أم جورجية ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ١٧ - ١٨ .

(**) هلال : هو أكبر أبناء السيد سعيد ولد في ١٢٣٢هـ/١٨١٧م من أم آشورية ، الفارسي ، البوسعيديون ، ص ١٦ .

(٢) فيلبس ، وندل ، تاريخ عُمان ، ص ١٢٦ ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣) الصوافي ، السلوه في أخبار كلوه ، ص ٩ ، تحقيق محمد علي الصليبي ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، الفارسي ، عبدالله ، البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ١٤٤ ، قاسم جمال زكريا ، " دور العرب في كشف أفريقيا " ، ص ٢١٨ ، مجلة عالم الفكر ، العدد ٤ ص ٢١٨ ، جدة ، ١٩٧١م .

Almaamiry, A. H. , Omani Portugese history , PP. 68 - 69, White, G. H., Shelswell A Guide To Zanzibar , P. 3 , Zanzibar , 1952 .

(٤) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص ٧٣ .

تقع جزيرة زنجبار على خط عرض ٦ درجات ، ويفصل جزر زنجبار عن الساحل الأفريقي مضيق عرضه ٢٢،٥ ميلاً ، وتتكوّن من عدّة جُزر مُرجانية أكبرها وأهمها زنجبار طولها ٥٤ ميلاً تقريباً ، وعرضها يبلغ حوالي ٢٤ ميلاً ، ومساحتها تقدّر بحوالي ٦٤٠ ميلاً مربّعاً . ومن شمالها الشرقي ، وعلى مسافة تقدّر بـ ٣٠ ميلاً ، تقع جزيرة بمبا على خط عرض ٥ درجات ، وهي أصغر من زنجبار ، فهي تتكوّن من ٤٠ ميل طولاً ، وحوالي ١٠ أميال عرضاً ، ومساحتها حوالي ٣٨٠ ميلاً مربّعاً(١) .

أما اليوم فإن زنجبار تعتبر جزءاً من دولة تنزانيا الحالية ، التي عاصمتها دار السّلام . ويرىٰ بعض المؤرّخين أن زنجبار كلمة فارسية تعني ساحل الزّنج ، وتتكوّن من مقطعين : (زنج - بار)(٢) ، ويُقال لها باللغة السواحلية أنغوجاء وهي كلمة مركّبة من مقطعين هما : أنغو ومعناها الصحن الواسع ، و جاء ومعناها امتلاء ، فتصبح بذلك كلمة أنغوجاء تعني : الصحن الواسع الممتلىء(٣) .

لقد اختار السيد سعيد زنجبار لتكون عاصمةً لدولته رغم أنه كانت هناك عدّة مدن

---

(١) زكي ، عبدالرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص ١١٢ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ،
Houtsma , M, Th , and Others, "Zanzibar", The Encyclopaedia of Islam, P. 1214 , London ,1934, P. 1214 , White , G. H. Shelswell , A guide to Zanzibar , P. 1 .

(٢) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٣ ، الصوافي ، السلوة ، ص ٦٢ ، قاسم ، جمال زكريا " دور العرب في كشف أفريقيا " مجلة عالم الفكر ، ص ٢٠١ ، المالكي ، سليمان ، سلطنة كلوه الإسلامية ، ط ١ ، ص ١١ ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

(٣) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٧٣ ، جيان ، وثائق تاريخية وجغرافيتوتجارية عن شرق أفريقيا ، ص ١٥٥ ، ١٧٣ ، صيرفي ، نوال ، الجهاد الإسلامي في شرق أفريقيا ، ص ٣٨ ، رسالة دكتوراه ، التاريخ الإسلامي الحديث ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرىٰ ، مكّة المكرّمة ، ١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ ،
General Rigby , Zanzibar and The Slave Trade , P. 326 , London , 1935 .

أكثر أهمية منها . مثل : ممباسا ، وكلوه ، ومقديشو ، ولامو ، وغيرها .
وذلك « لطيب هواها وقلّة أذاها ، لأنها ليست ذات بردٍ (قارس) ، ولاحرٍ شديد ، ولقربها من خط الاستواء ، فأوى إليها الأخيار من جميع أقطار الدّنيا »(١) .

ولاتّخاذ السيد سعيد زنجبار عاصمةً له عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣٢م ، أسباب استراتيجية وطبيعية واقتصادية هامة ، جعلته يختارها عاصمةً لأملاكه دون غيرها من المدن والجُزر الهامة في أفريقية الشرقية . (شكل رقم ١)

فمن الناحية الاستراتيجية تعتبر زنجبار الجزيرة الثانية في المنطقة، من جهة المساحة بعد مدغشقر، إذ تبلغ مساحتها ٦٤٠ ميلاً مربّعاً، فضلاً عن أنها تبعد على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من الساحل ، وحوالي مائة ميل جنوب ممباسا ، وقد وفّر لها هذا الأمن ، وجعلها في منأىً من إغارات القبائل الأفريقية المعادية(٢) .

أما من الناحية الطبيعية ، فزنجبار تعتبر ذات طقسٍ معتدل ، وطبيعة جذّابة ، إذا ماقورنت بمسقط الشديدة الحرارة خلال فترة طويلة من السنة(٣) . كما إن الجزيرة بها موارد كثيرة لاتنفذ من المياه النّقيّة الصّالحة للشّرب ، التي ليس لها مثيل على طول الساحل الشرقي من أفريقيا ، مما كان يجذب إليها السفن المارة ، فتنتعش التجارة فيها تبعاً لذلك .

---

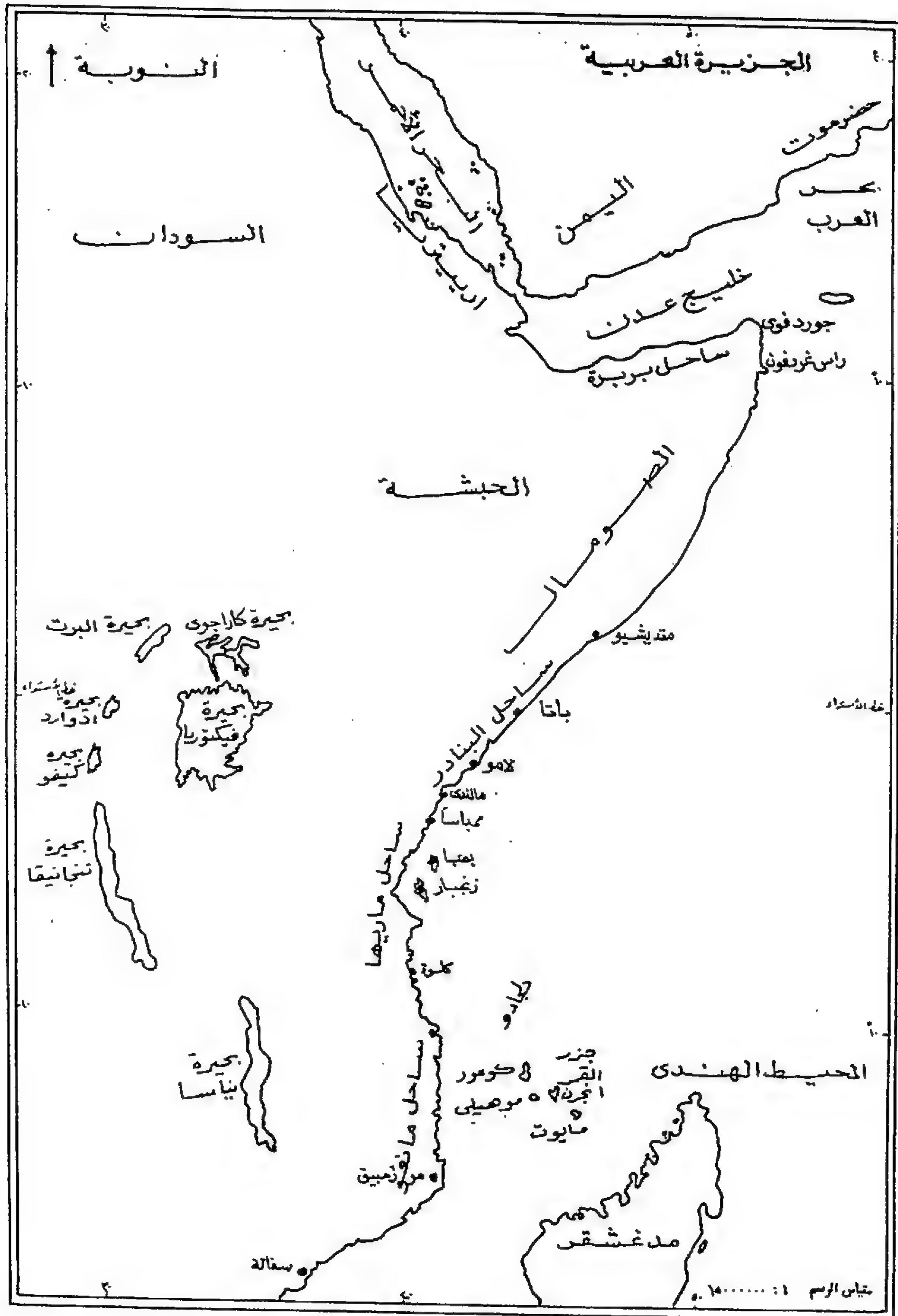
(١) المغيري ، جهينة الأخبار ، ص ٢٧٧ ،

Allan, Calvin H., " The State Of Mascut in The Gulf and East Africa ", 1785 - 1859 ",

International Journal of Middle East Studies, P. 51, London, 1979.

(٢) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٢٩ ، القاهرة ، ١٩٧١م ، روت ، رودلف سعيد ، سلطنة عمان ، ص ٤٩ ، هولنجز وورث ، ل . و . ، زنجبار ، ص ٥ .

(٣) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عُمان وشرق أفريقيا ، ص ٢٠٨ .



ساحل شرق أفريقيا

شكل رقم (١)

حسين مؤنس : أطلس تاريخ الاسلام ، ص ٣٧٠.

كما تشتهر زنجبار بخصوبة تربتها الصالحة لزراعة الكثير من توابل المناطق الحارة(١) . ولاشك أن الهدف الاقتصادي كان أقوىٰ الدّوافع التي دعت السيد سعيد للاستقرار فيها ، واتّخاذها عاصمةً له .

ويقول في ذلك كوبلاند Coupland - أحد الباحثين في تاريخ شرق أفريقيا - « أن التجارة كانت هي الهدف الأساسي للسيد سعيد ، فلم يكن هناك مكان آخر من ممتلكاته أكثر ملاءمة لتنفيذ سياسته الاقتصادية من زنجبار ، كما أن موقعها المتوسط بين موانيء شرق أفريقيا ، حققت لها مركزاً اقتصادياً هاماً في المنطقة »(٢) .

وتتمتّع جزيرة زنجبار بميناء طبيعي يصلح لرسو السفن الضّخمة الكبيرة ، وهو الميناء الوحيد الذي يتميّز بذلك ، لعُمق مياهه وسعة مساحته(٣) .

كما إنها تعتبر المنفذ الطبيعي لحاصلات المنطقة المواجهة لها في القارة ، فهي أكبر مستودع للتجارة الأفريقية الآسيوية التي تحمل صادرات المنطقة من الرقيق والعاج والقمح .

---

(١) حراز ، رجب ، بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٣٠ ، طه ، جاد محمد ، دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار ، ص ٩٦ .

(٢) Coupland , R. , East Africa and Its Invaders , P. 295 , London , 1938 .

الشيخ ، رأفت غنيمي ، دور عُمان في بناء حضارة شرق أفريقيا ، ص ١٦٨ .

(٣) محمد ، محمد سيد ، " سلطنة زنجبار الإسلامية بين الإنجليز والألمان " ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، العدد ٢ ، ص ٧٣ ، مكّة المكرّمة ، جمادى الثانية ١٣٩٨هـ / مايو ١٩٧٨م ، العقّاد ، صلاح وقاسم ، جمال زكريا ، زنجبار ، ص ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠م ،

Lofchie , M. F. , Zanzibar , P. 6 , New Jersey , 1965 .

فعندما قدم السيد سعيد إلى زنجبار ، لم تكن سوىٰ مدينة صغيرة لصيد الأسماك ، وكان السّكان يعملون بزراعة الأرز وبعض الحبوب الأفريقية الأُخرى(١) . فأصبحت في عهده تُضاهي المُدن الكُبرىٰ في أوروبا في التقدّم التجاري والاقتصادي .

وأخيراً يمكننا القول بأن السيد سعيد استطاع أن يربط عُمان الواقعة في الرّكن الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية بشرق أفريقيا ، ويوحّدهما تحت حُكمه ، مما كان له أبعد الأثر في تقوية الرّوابط وتوثيق العلاقات العربية - الأفريقية بين شرق الجزيرة العربية وشرق أفريقيا ، وانعكس ذلك على نواحي كثيرة منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وأدّىٰ إلى ازدهار وانتعاش البلاد في هذه النواحي جميعها ، وظلت هذه المنطقة عربية إسلامية حتى عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م حيث فقدناها في مأساة دامية أنهت العلاقة الطويلة بالأفريقيين والتي استمرت أكثر من ثلاثة آلاف عام ، عندما عملت السياسة الاستعمارية على إشاعة الكراهية العنصرية بين الشعوب العربية والأفريقية(٢) .

وتساهل الحكام مع المتنصرين والأجانب ، ومحاباتهم على حساب العرب .

---

(١) Grenville , G. S. P. Freeman , The East Africa Coast , P. 234 , London , 1962 .

(٢) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرقي أفريقية ، ص١١٥ .

المحتويـــــات

الباب الثاني

النّواحي الاجتماعيــة

الباب الثالث

النّواحي الثقافيـة والفكـرية

الباب الرابـع
الأثر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبـار الإسلامية في تطور الممالك الأفريقيـة
(دراسة نموذجية)

***